

عائلة الثالوث القدوس

دوما - لبنان

www.holytrinityfamily.org

القديس نيقولاى فيليميروفيتش:
الذهبيّ الفم الجديد، أسقف أوخريدا وزخا
(1880 م - 1956 م)



طفولته

مشيئة الله

في أوروبا الغربية

النذور الرهبانية

الحرب العالمية الأولى

أسقفاً على زخا

مهمة في الولايات المتحدة

العودة إلى بلغراد

تنبأ بحصول كارثة!

اعتقاله

في المنفى

رقاده



طفولته

ولد القديس نيقولاى فجر 23 كانون الأول عام 1880، يوم عيد القديس ناحوم الأوخرىدي، لوالدين تقيين دراغومير وكاتارينا فيليميروفيتش، في ضيعة صغيرة، اسمها ليليش تبعد خمسة أميال عن جنوب - غرب فالجيفو، وهي مدينة تقع في وادي جبال بوفلان غربى صربيا. كانت بنية نيقولاى الجسدية ضعيفة، فعمده والداه فور ولادته. أُعطي اسم نيقولاى تيمناً بالقديس نيقولاوس (المعيد له في 6 كانون الأول) أسقف ميرا اللبسيّة الذي كان شفيع العائلة. كان نيقولاى هو الولد البكر، وقد رزق دراغومير وكاتارينا ثمانية أولاد آخرين، كلهم قضوا في الحرب العالمية الثانية. اعتمد الطفل نيقولاى في دير شيليجي على يد الأب أندراوس، كاهن رعية الكنيسة الصربية في ليليش.



يقونة للقديس نيقولاى



القديس نيقولاى مع والدته كاتارينا

كان والدا نيقولاى مُحِبَّين لله، تقيين، يتوقفان عن العمل في النهار لتلاوة الصلوات اليومية، ويتبعان ترتيب الصلوات والأصوام في الكنيسة الأرثوذكسية بحسب دورتها الليتورجية. كانت كاتارينا امرأة فاضلة، وقد لَقَّنت نيقولاى أول دروسه في الإيمان بالله والرّب يسوع المسيح وقديسيه. كانت تأخذ بيده وتذهب به إلى دير شيليجي - الذي يبعد ثلاثة أميال عن المنزل - للصلّاة والاشتراك في المناولة المقدّسة. ويعتبر نيقولاى أنّ هذه الدروس عن الله، وذهابه مع والدته إلى الدير كان لها أكبر تأثير في حياته. ولقد كتب عن ذلك في قصيدة تسرد سيرة حياته باللّغة الصربية عنوانها "صلاة أسير في السّجن" (Prayers of a Captive In Prison - 1952).

بدأ نيقولاى دروسه الأولى في دير شيليجي المكرّس

لرئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل. هناك أمل والدّه دراغومير أن يحظى بالتّعليم اللازم الذي يخوّله الحصول على وظيفة في الدّولة، ليصبح رجلاً نافذاً بإمكانه دعم ضيعة ليليش. تعلّم الطّفّل نيكي (كما كانوا يسمّونه في ليليش) على يد الأب أندراوس، أبيه الرّوحّي، دروسه الأولى في القراءة والكتابة والرياضيات. إلى جانب ذلك، كان الأب أندراوس يلقّنه دروساً حول الكتاب المقدّس والآبائيات بالإضافة إلى التّقليد الدّيني - الوطنيّ لصربيا. هذه الدّروس الأخيرة هي التي أثارت اهتمام الطّفّل نيكي. وقد أظهر رغم صغر سنّه مقدرةً كبيرة على الاستيعاب ورغبةً في التعلّم. في أثناء العطلة الصّيفيّة، كثيراً ما كان نيقولا يَمْضي النّهار بطوله مختبئاً في جرسية الكاثوليكون (الكنيسة الرّئيسيّة) التابعة للدير منشغلاً بالصّلاة وقراءة الكتب. وبفضل مثال أمّه وتعاليم الأب أندراوس، بدا نيقولا متّجهاً نحو هدف أسمى من أن يكون مجردَ مواطنٍ نافذٍ في ضيعة الصّغيرة.



مشيئة الله ❖

عندما أنهى نيقولا الصّفّ السّادس في القواعد، في مدرسة فالجيفو، قدّم طلباً لالتحاق بالمدرسة العسكريّة. إلا أنّه لم ينجح في الامتحان البدنيّ لأنّه كان، بحسب لجنة اللّياقة البدنيّة، صغير البنية، أكتافه ليست بالعرض المطلوب، وتكوينه ضعيف يمنعه من القيام بالنّشاطات العسكريّة. كان هذا، دون أدنى شكّ، تدبيراً إلهياً، شاء به الرّبّ الإله أن يقود نيقولا في مسيرة مختلفة، ويجعل منه جندياً في الملكوت السّمائيّ، لا في الملكوت الأرضيّ. وفور صدور قرار المدرسة العسكريّة، قدّم نيقولا طلباً للدّخول إلى معهد القديس سابا في بلغراد، حيث قبل كطالب. هناك، إلى جانب الدّروس الاعتياديّة، أخذ نيقولا يقرأ نصوصاً لأهمّ المؤلّفين في الحضارة الأوروبيّة الشرقيّة والغربيّة: شاكسبير، فولتير، نيتشي، ماركس، بوشكين، تولستوي، دوستويفسكي وآخرين. أحبّ بالأخصّ الكاتب المونتينيغري "بيتر نجيجوش" الذي كان يقرأ كتاباته منذ سنينه الأولى في مدرسة فالجيفو. ولقد قدّم، في امتحان تخرجه، أطروحة عن شعر نجيجوش وفكره. هذه الأطروحة، التي عرضها عام 1902 في دير راكوفيكّا، الذي يبعد عشرة أميال جنوبيّ بلغراد، أذهلت لا زملاءه فقط، بل الأساتذة والمدرّسين أيضاً.

كانت سنوات نيقولاوي، في المعهد في بلغراد، صعبة جداً: نوعية الأكل التي اعتاد عليها كانت غير مغذية بالقدر اللازم، بالإضافة إلى الظروف المعيشية السيئة في ما يخصّ المنامة في المعهد: فما لبثت أن تأثرت صحته فأصيب بنوع من مرض السلّ الذي يضرب الغدد. بعد تخرّجه من المعهد، درّس نيقولاوي في بعض القرى. في إحدى هذه القرى المعروفة بـ"فلاجيفو"، تصادق مع الأب سابا بوبوفيتش، وساعده في نشاطات رعيته. هناك تعلّم عن مسيحة يسوع وتداخلها مع حياة المؤمن اليومية. في الصّيف، وبناء لنصيحة الطبيب، كان يمضي نيقولاوي وقته قرب شاطئ البحر. في أوقات الرّاحة هذه، كتب حياة "بوكيل المونتنيغري" و"دلمايان" (The Life of Bokel the Montenegrin and Dalmatian). كما أسّس جريدةً عنونها "الأخبار المسيحية"، أصدر فيها أولى كتاباته ومقالاته.



❖ في أوروبا الغربية

عام 1905، ونظراً لمعرفته الواسعة ونشاطاته الإنجيلية، اختير نيقولاوي مع آخرين ليكملوا دروسهم في روسيا وأوروبا الغربية. التحق نيقولاوي بالكلية اللاهوتية في بيرن السويسرية. هناك اطّلع على أفضل العلوم الموجودة في أوروبا الغربية حتى إنّه أصبح فقيهاً في العلوم الفلسفية والروحية الهندية. هذا جعل نيقولاوي رجل نهضة، ذا زخم وعمق فكريّ. الجميع نظر إليه ككنز فريد من الحكمة والروحانية. عام 1908، حصل على شهادة الدكتوراه الأولى في اللاهوت من كلية بيرن، وذلك بعدما قدّم أطروحته "الإيمان في قيامة المسيح: الأساس في عقائد الكنيسة الجامعة" التي كتبت باللغة الألمانية، وترجمت في ما بعد إلى الصربية. وفي السنة اللاحقة عام 1909، كان الشاب، البالغ تسعة وعشرين سنة من العمر، يحضّر أطروحة دكتوراه في الفلسفة باللغة الفرنسية في جامعة أوكسفورد في أنكلترا. كان عنوان الأطروحة "فلسفة بيركلي".



النذور الرهبانية ❖

في خريف عام 1909، أصيب نيقولاي بالزحار بشكل خطير - وهو التهاب يصيب الأمعاء - فعاد إلى وطنه. وكما غيرت الصعوبات حياة القديس غريغوريوس النزينزي المعيد له في 25 كانون الثاني، غير هذا المرض حياة نيقولاي. فعلى أثر ذلك، قرّر أن يوظف كل طاقاته في خدمة الكنيسة الأرثوذكسية المقدسة. وخلال الشهرين اللذين أمضاهما في المستشفى، صلى بحرارة إلى ربّه وثقاً بأنه سوف يشفيه إن أَراده لخدمته. هكذا، نذر أنه إذا تعافى، فسوف يصبح راهباً ليعمل لخدمة شعب الله وكنيسته. وبالفعل، بانّت مشيئة الله، إذ استعاد نيقولاي عافيته؛ فترك كل العلوم الدنيوية ومجد هذا العالم، والتحق بدير راكوفيكّا. هناك، أصبح الدكتور في اللاهوت والفلسفة راهباً بسيطاً. وفي 20 كانون الأول 1909، شرطن نيقولاي راهباً وأُعطى اسم شفيعه القديس نيقولاي، وفي اليوم عينه، صيّر كاهناً. هناك وظّف الراهب نيقولاي كل معرفته ومواهبه في خدمة الله والشعب الصربيّ الأرثوذكسيّ. وفي وقت قصير، رُفِعَ إلى رتبة أرشمندريت، واختير ليعلم في معهد القديس سابا في بلغراد. ولكنه إذ لم يكمل المستويين السابع والثامن في قواعد اللغة، أُخضع لامتحان في اللغة، أذهل فيه اللّجنة. أحد أعضائها قال: "لقد انذهلنا لسماعه يتكلم عن الربّ يسوع المسيح لدرجة أنّه أبكنا". على أثر هذا الامتحان، قررت اللّجنة أن تبعث الأب نيقولاي إلى روسيا ليتعرّف على ثقافتها الغنيّة. في هذه الفترة عينها كتب "ديانة نجيغوش" وهو كتاب عظيم من الناحيتين الدنيّة والفلسفيّة.



دير راكوفيكّا

عاد بعدها الأب نيقولاي إلى بلغراد كمدرّس في معهد القديس سابا. سنة 1912، نشر مختارات من عظاته أسماها "عظات على سفح الجبل" قائلاً إنّ الربّ يسوع كان يعظ على قمة الجبل، أمّا هو فلا يستحقّ أن يعظ إلا على سفح الجبل. عام 1914 كتب "ما بعد الخطيئة الموت"، وهو كتاب فيه معانٍ عميقة يستطيع الإنسان البسيط أن يفهمها. في المعهد، كان للأرشمندريت نيقولاي تأثيرٌ كبير في تلاميذه. وقد دفع بالكثيرين إلى الرهبنة أو الكهنوت أو إلى دراسة معمّقة للاهوت. أحد تلامذته الروحيين هو يوستينوس بوبوفيتش، الذي

أصبح أعظم لاهوتيّ في تاريخ الكنيسة الصربيّة الأرثوذكسيّة (يُعيد له في 25 آذار). علّم الدكتور نيقولاي فيليميروفيتش الفلسفة والمنطق والتاريخ واللغات الأجنبية، وبسرعة أصبح وجهاً صربيّاً ثقافياً بارزاً بالإضافة إلى مرشد روعيّ محبوب.



الحرب العالميّة الأولى ❖

في صيف 1914، نشبت الحرب العالميّة الأولى، ودخلت شبه الجزيرة البلقانيّة دائرة الاضطرابات. كانت الدولة الصربيّة بحاجة ماسة إلى قائد يساعدها على تخطّي هذه الأزمة الدوليّة. ولهذا الهدف بعثت بالأرشمندريت نيقولاي ضمن بعثة دبلوماسية رسميّة إلى إنكلترا للحصول على دعم الدولة البريطانيّة للشعب الصربيّ. استقبل المسؤولون البريطانيون الأرشمندريت نيقولاي، الحائز على دكتورا من أكسفورد، أجلّ استقبال. هناك، برهن نيقولاي عن ذكاء سياسيّ في عدد من مواعظه ومحاضراته التي ألقاها. معظمها تناول وضع الشعب الصربيّ المقهور وكيفيّة تحقيق السّلام في العالم. ولقد نجح في كسب الدّعم البريطانيّ المرجوّ ومُنح دكتورا شرفيّة من جامعة كامبردج. أُعجبت الكنيسة الأنكليكانيّة بمقالاته عن وصايا الله وتأمّلاته في صلاة يسوع، التي وضع فيها حدّاً للكثير من الأفكار الخاطئة حول الكنيسة الأرثوذكسيّة.

في صيف 1915، سافر الأرشمندريت نيقولاي عبر محيط الأطلسي ليكمّل مهمّته الدبلوماسية في نيويورك في الولايات المتّحدة. هناك جمع المهاجرين من صربيين وكرواتيّين وسلوفاكيّين ليحاربوا ضدّ القوى النمساويّة التي تجتاح بلادهم. ونجح في مهمّته إذ بعثت الدولة الأميركيّة أكثر من عشرين ألف متطوّعٍ سلافيّ ليدافع عن الحدود السّلافية، بالإضافة إلى مساعدة ماليّة تفوق مئات الآلاف من الدولارات للمحتاجين في هذه البلاد.

وعرف نيقولاي في حلم كَلّمه فيه ملاكُ الرّب أنّه سوف يعود يوماً ما مجدّداً إلى الولايات المتّحدة ليساعد القطيع الأرثوذكسيّ الصربيّ هناك، ويجمعه ضمن أبرشيّة واحدةٍ مندمجة تماماً مع الأبرشيّات الصربيّة الأخرى.

عاد نيقولاي عام 1916 إلى إنكلترا، حيث قرّر أن يمكث إلى نهاية الحرب. هناك أصدر عدداً كبيراً من المقالات والكتب، حاول من خلالها استعطاف الشعب الإنكليزي لمؤاسات الشعب الصربي. وبسبب تفوقه الأكاديمي، حصل نيقولاي على دكتورا شرفية ثانية عام 1919 من جامعة كلاسكو في اسكوتلاندا.



أسقفاً على زيخا ❖



القديس نيقولاي فيليميروفيتش أسقفاً

شعر نيقولاي بحنين كبير لوطنه، فعاد إلى بلغراد حوالي نهاية الحرب العالمية الأولى. هناك عمل على تأسيس الدولة اليوغسلافية الجديدة وشغل منصب المترجم لرئيس الدولة نيقولا باشيش. رغم كل الصّوّاء في حياته أحسّ نيقولاي بأن شيئاً ما ينقصه. أراد أن يساعد الشعب الصربي بشكل ملموس. تحققت هذه الرغبة في 12 آذار 1919، عندما انتخبته الكنيسة الصربية الأرثوذكسية أسقفاً على زيخا وهو الكرسي التقليدي لرئيس أساقفة صربيا. كان عمره حينئذ 39 سنة. خلال تنصيبه أسقفاً بكى المغبوط نيقولاي كطفل صغير. وهكذا بعد أربع سنوات من العمل الدؤوب للحصول على الدعم الإنكليزي والأميركي لصربيا، أصبح الأسقف نيقولاي مستعداً لأن يساعد الشعب الصربي الذي مزقته الخلافات والحروب.

رعى الأسقف نيقولاي قطيعه بمحبة خالصة وخفف من آلامه حتى تخطى حدود زيخا إلى كل يوغوسلافية. عمل الأسقف بمثال الرب يسوع المسيح، فشفي المرضى، وحرر الأسورين روحياً ووعظ بالخلوص والحياة الأبدية للنفس العطشى. نقل، عام 1921، إلى مطرانية أوخريدا وبيتولا. وقد تم نقله لتسهيل اتحاد الكنيستين الصربية والمكدونية الذي نتج عن إنشاء المملكة اليوغسلافية الجديدة. زرع الأسقف

نيقولاي في رعيته هذه بذور الوحدة، وزار أثينا والقسطنطينية وصولاً إلى الجبل المقدس حيث استقبل كموحّد للكنيسة الأرثوذكسية في رباط محبة المسيح وكنيسته. ولدى عودته إلى بلاده كتب "صلوات قرب البحيرة" خلال فترة نقاهته بجانب بحيرة أوخريدا، ووضعه بأسلوب شعري غني، يشبه، على الصعيد الروحي، كتاب المزامير لداود الملك.



مهمة في الولايات المتحدة ❖

في هذه الفترة كانت الكنائس الأنكليكانية وعددٌ من الجامعات في الولايات المتحدة تستدعيه مراراً ليلقي محاضرات هناك. في البدء، رفضت الحكومة الملكية اليوغسلافية ومجمع الأساقفة المقدس إرساله، ثم، إذ كثرت الدعوات، رضخاً للأمر الواقع، وأرسل الأسقف نيقولاي للمرة الثانية إلى أميركا.

وصل الأسقف المغبوط نيقولاي إلى الولايات المتحدة بنعمة الله في 24 حزيران 1921. كان لديه ثلاثة أهداف رئيسية يجب تحقيقها فوراً:

1- إلقاء المحاضرات والمواظ في الجامعات والكنائس بهدف تصوير الحرب العالمية الأولى من وجهة نظر أوروبا الشرقية.

2- جمع المساعدات لإنشاء ميّاتم في صربيا للأطفال الفقراء الذين فقدوا ذويهم خلال الحرب العالمية الأولى.

3- زيارة الرعايا الصربية الأرثوذكسية لشكرهم على دعمهم خلال الحرب، وإعداد تقرير عن إمكانية إنشاء أسقفية للكنيسة الأرثوذكسية الصربية في أميركا.

نجح أسقفنا في كل مهامه: ألقى أكثر من مئة وخمسين محاضرة وموعظة خلال ثلاثة أشهر. رسالته كانت واضحة: لا تلموا المزارع الأوروبي (في أوروبا الشرقية) لنشوب الحرب العالمية الأولى لأنه ذو نفس نبيلة، بل لوموا الطبقة المتففة التي خلقتها الجامعات في أوروبا الغربية. فهؤلاء المتفنون هم الذين يضلّون. وقال إنه إذا استمرّ الوضع على ما هو عليه في أوروبا الغربية فلا بدّ من نشوب حرب عالمية

ثانية. وكم كان محقاً في ما تنبأ به! من أشهر مواظبه ما ألقاه في الكنيسة الأنكليكانية في كاتدرائية القديس يوحنا اللاهوتي في مدينة نيويورك. عنوان عظته كان "الحجر الذي رذله البنؤون"، فيها دعا أوروبا الغربية إلى العودة إلى جذورها، إلى المنبع الحقيقي وصخرة ثقافتهم وحضارتهم بأكملها، أي إلى الرب يسوع المسيح المخلص، الذي هو الطريق والحق والحياة.

كذلك دعا الولايات المتحدة التي فيها غنى في الجنسيات لأن تحمل مشعل الأمل لكل العالم. قال: أوروبا اكتشفت هذا العالم، فهل تستطيع أميركا أن تنظّمه؟ هذا كرره آملاً أن تقود أميركا المسيرة للوصول إلى عالم يسود فيه السلام والعدالة. في هذه المواظب دُعي نيقولاي اسحق ثانياً والذهبي الفم الجديد. وبفضل نشاطاته حصل على قبول يوغسلافية في هيئة الأمم المتحدة.

كان الأسقف نيقولاي يشعر بألم فقدان القريب لدرجة أنه كان يجهد بالبكاء لدى زيارته المياتم والفقراء المهملين في بلاده. وقبل قدومه إلى أميركا أسس داراً أيتام في بيتولا سلّمه للأمّ أنا. أطلق الأطفال الفقراء في يوغسلافية على الأسقف نيقولاي لقب "ديدا فلاديجا" أي الجدّ الأسقف، نظراً لعنايته الشديدة بهم وتخلّله الشخصي للتخفيف من بؤسهم. رأس الأسقف نيقولاي الجمعية الصربية للاعتناء بالأطفال في بلغراد، ومن خلالها جمع آلاف الدولارات في الولايات المتحدة ليهتمّ بهم. بهذه الأموال أسس عدداً من المياتم التي أشرف عليها شخصياً. جمع فيها أكثر من ستمائة ولدٍ معوز وأمن لهم حاجاتهم المادية والروحية مفيضاً عليهم من محبة المسيح.

وفي ما يخص تأسيس كنيسة صربية أرثوذكسية في أميركا، كتب الأسقف نيقولاي رسالة فصحية عام 1921 لكل الرعايا الصربية في أميركا. رحّب بالبطريركية الصربية التي أعيد تأسيسها وعلى رأسها الكليّ قدسه ديمتري. كذلك رسم مخططاً لكيفية تأسيس مطرانية صربية في أميركا. الأسقف نيقولاي هو أول إكليركي صربي يسافر إلى أميركا، وعليه استقبلته الجماعات الصربية بكثير من الاحترام. مشاكل الصربيين في أميركا كانت كثيرة:

- كان معظمهم يرعاهم كهنة روسيون وهم لا يفهمون لغتهم.

- لا أديرة لتقود الشعب في الحياة الروحية.

- لا معاهد لتعليم الكهنة والمؤمنين.

- الزيجات المختلطة كانت تخلق الكثير من المفاهيم الخاطئة بين المؤمنين.

- الانشقاقات في الكنائس الأرثوذكسيّة الأخرى خلقت جواً من عدم الثقة في إكليروس الكنيسة بين كلّ الأرثوذكسيّين في أميركا.

- كانت الكنائس البروتستانتية والكاثوليكية بالإضافة إلى العلمنة الأميركية تتسلّل إلى حياة الكنيسة.

- سوء تنظيم الرعايا الصربيّة: الصّرب في أميركا كانوا "كقفير نحل دون ملكة" على حسب قول أحد الإكليركيين في رسالة موجّهة إلى البطريرك الصّربيّ عام 1921.



العودة إلى بلغراد ❖

عاد الأسقف نيقولاى إلى بلغراد في 16 حزيران عام 1921، بعد ستّة أشهر من العمل الرّسوليّ في أميركا. حزن الصّربيّون في أميركا كثيراً لفراقه، والكلّ رجا عودته كأسقفٍ لأسقفية أميركا الجديدة. بعد عشرة أيّامٍ قدّم الأسقف نيقولاى تقريره عن رحلته إلى الولايات المتّحدة أمام المجمع الصّربيّ المقدّس. وفي 21 أيلول عيّن المطران برنابا الأسقف نيقولاى ليشغل مهام الأسقف في أميركا يعاونه الأرشمندريت مرجارجي الذي من دير راكوفيك كمساعد إداري. هذا القرار أغضب الكثير من المؤمنين الأرثوذكس في صربيا، لأنّهم كلّهم، أساقفة وإكليركيين، رهباناً وعلمانيين، لم يكونوا مستعدين لأن يتخلّوا عن الذّهبيّ الفم الصّربيّ للصّربيّين في أميركا. شعر الأسقف نيقولاى بالانزعاج من الوضع القائم فذهب في زيارة حجّ إلى الأراضي



إيقونة للقديس نيقولاى فيليمبروفيتش

المقدّسة في كانون الثاني 1922، ومن هناك انتقل إلى الجبل المقدّس حيث أمضى الفصح في دير خيلاندار. كانت هذه الخطوة ضروريةً ليستعيد الأسقف نيقولاى نشاطه الرّوحيّ، مبتعداً عن المشكلات الملحّة وطالِباً العون من أبيه السّماوي.

عاد الأسقف نيقولاى إلى صربيا لحضور اجتماع المجمع المقدّس، وكان قد أصبح مقتنعاً بأنّ الوضع في أميركا يتطلّب أسقفاً مكرّساً لحياته بالكامل للكنيسة هناك. لذلك رشّح الأرشمندريت مارداريجي ليكون الأسقف الدائم للكنيسة الصّربيّة الأرثوذكسيّة في أميركا. وافق المجمع على هذا التّرشيح وتمّ تنصيبه في 18 تشرين الأوّل 1923. هذا القرار لم يحرّر الأسقف نيقولاى من مسؤوليّاته الزائدة فقط بل كان بمثابة بركة إلهيّة للمؤمنين في صربيا. هكذا كرّس الأسقف نيقولاى وقته للكتابة ولرعاية قطيعه ليغرس فيهم حبّ الرّب يسوع المسيح وكنيسته.

إلى جانب الكتابة، بدأ نيقولاى بإنشاء حركة دينيّة شعبيّة عُرفت فيما بعد بـ"حركة صلوات الله". كان يجتمع تلاميذ الأسقف في المنزل الأسقفّي ليُرنّموا الأغاني الرّوحيّة التي كتبها هو. التّسبيح باللّغة الصّربيّة بعث الفرح في قلوب الأرثوذكسيّين الصّرب المتحمّسين، الذين حصلوا به على تجديدٍ روحيّ بعد الحرب التي أضنتهم، وأضحوا شعباً محبباً لله بقيادة نيقولاى. الكثير من الكهنة والاكليركيين حسدوا نيقولاى، لكنهم عندما بدأوا بتحسّس النّموّ الرّوحيّ بين المؤمنين في رعاياهم، أخذوا يدعمونه في "حركة الصّلاة". هؤلاء الحركيون كانوا يواظبون على قراءة الكتاب المقدّس، وإنشاد التّرانيم الرّوحيّة، وتلاوة الصّلاة باستمرار، وزيارة الأديرة، والاعتراف بخطاياهم، وحفظ الأصوام والمناولة المتواترة لجسد ربّنا وإلهنا يسوع المسيح ودمه. وشيئاً فشيئاً أخذ الإكليركيون في مختلف الأسقفّيّات يفقدون بالأسقف نيقولاى الذي كان في طليعة التّجدّد الرّوحيّ الذي حصل في الكنيسة الصّربيّة آنذاك. من خلال حركة الصّلاة، أُعيد إحياء الرّهبة ودراسة اللاهوت، وهذا بان جليّاً في حياة القديس يوستينوس بوبوفيتش أحد أكبر اللاهوتيين والنّسّاك في زمننا الحاضر.



تنبأ بحصول كارثة! ❄️

عام 1927، وبناء لدعوة الجمعية الأميركية - اليوغسلافية، سافر الأسقف نيقولاوي إلى الولايات المتحدة للمرة الثالثة. هناك أمضى ثلاثة أشهر، تكلم فيها في عددٍ من الجامعات والكنائس واستعلم عن تقدّم دير القديس سابا الصربيّ في ليبيرتيفيل (Libertyville) الذي أسسه الأسقف المكرّس حديثاً مرداريجي. في طريق العودة إلى صربيا، عرّج على لندن، حيث بقي أسبوعين وتنبأ بقرب حصول كارثة كبيرة. رسالته كانت واضحة: توبوا فقد اقترب ملكوت السموات!



كنيسة دير القديس سابا في ليبيرتيفيل

ولدى عودته إلى أوخريدا باشر بكتابة عددٍ من الكتب أهمّها "توطئة أوخريدا" (The Prologue of Ohrid) وهو كتاب فيه قصصٌ قصيرة عن حياة قديسين وحوادث تبعت على التقوى.

يُذكر أنه ضمن أسقفية في مدينة بيتولا، كان يوجد المعهد الصربيّ للقديس يوحنا اللاهوتي، أحد مدرّسي اللاهوت هناك كان الراهب الكاهن يوحنا مكسيموفيتش (المعيد له في 2 تموز) وذلك بين العامين 1929 و1934. أحبّ الأسقف نيقولاوي الراهب يوحنا كثيراً وقدره وكان له تأثير إيجابي فيه. وكان يردّد للمقربين منه: إذا أردت أن ترى قديساً حياً: اذهب إلى بيتولا إلى الأب يوحنا. (حياة الأسقف نيقولاوي والأب يوحنا سوف يتقاطعان مجدداً في المستقبل، إذ إنّ كلاهما سوف يمضي آخر سني حياته في الولايات المتحدة ويرقد هناك، وكلاهما سوف يُعلن قديساً).

عام 1930، اشترك الأسقف نيقولاوي في مؤتمر جمع كلّ الأرثوذكس من كلّ القوميات عُقد في دير فاتوبيذي في جبل آتوس. وكان هو الصوّت الجامع لكلّ الأرثوذكس في العالم، وقاد الأتقياء من يونانيين و صربيين وروسيين وبلغاريين ليتجاوزوا كلّ انتماء عرقيّ قد يهدد رباطات المحبة والوحدة في الرّوح بينهم.

وباستخلافه التقليد الأرثوذكسيّ المقدّس من كلّ الكنائس الأرثوذكسيّة المحليّة استطاع أن يقدّم للغرب المسيحيّ صورة دقيقة وشاملة للإيمان القويم لكنيسة جامعة مقدّسة رسوليّة واحدة.

إبان الحرب العالميّة الثّانية عام 1941، كان الأسقف نيقولا يجمع رسائله في كتاب عنوانه "الرسائل الرسوليّة"، وتشهد هذه الرسائل للنشاط الإنجيليّ المذهل الذي كان يقوم به واستيعابه الكامل والفريد للأزمات الروحيّة في زمنه.



اعتقاله ❖



اعتقال القديس نيقولا

عام 1941، احتلت القوات الألمانيّة يوغسلافية واعتقلت الأسقف نيقولا ي مع البطريرك جبرائيل دزهيش وأودعتهما معتقل داشو في ألمانيا. عُرف هذا السّجن بعدم إنسانيّته. أمضى نيقولا في فيه سنتين عانى خلالهما أشدّ التعذيبات التي يمكن أن يحتملها إنسان. وقد نسب نجاته من هذه المحنة الصّعبة إلى والدة الإله فكتب لها في السّجن "القانون الابتهالي وصلاة لوالدة الإله الكليّة القداسة" بالإضافة إلى مؤلّف عن يومياته في السّجن. وقد سأله أحدهم: "هل يدمرّ المعتقل الحياة الروحيّة أو يحييها؟". فأجاب الأسقف نيقولا: "أنت جالسٌ في الزاوية وتقول لنفسك: "أنا تراب، أنا رماد، يا ربّ خذ روحي". فجأة ترتفع روحك وترى الله وجهاً لوجه ولكنك لا تتحمل هذه الرّؤية فتقول له: "يا ربّ لا أستطيع، أعطني مجدداً إلى حيث كنت" وهكذا من جديد تقبع في الزاوية ساعات متتالية وطويلة وتقول لنفسك: "أنا تراب، أنا رماد، يا رب خذ نفسي" ومن

جديد يرفعك الرّبّ الإله لتعانيه... لو كنت أستطيع لكنت أستبدل كلّ سني حياتي بساعة واحدة في معتقل داشو!!". في 8 أيار 1945، أطلق سراحه بفضل الفيالق الأميركيّ. التجأ بعدها المعترفان نيقولا وجبرائيل

إلى بريطانيا. من هناك عاد جبرائيل إلى بلغراد كبطيريك، أما نيقولاى فانقل إلى أميركا للمرة الرابعة والأخيرة. هناك بدأ الأسقف المنفى بإلقاء المحاضرات في عدد من المؤسسات التعليمية بعدما استعاد عافيته من آلام في الظهر والساق.

❖ في المنفى

في حزيران 1946، مُنح دكتورا في اللاهوت من جامعة كولومبيا نظراً لتفوقه الأكاديمي. هذه كانت الدكتورا الخامسة والأخيرة التي نالها.

بين العامين 1946 و 1949، علّم المغبوط نيقولاى الدائم الوفاء لبلده في معهد القديس سابا في ليبرتيفيل في إيلينوي. أيقن نيقولاى أهمية نقل التعليم الأرثوذكسي باللغة الإنكليزية للصرّب الذين ولدوا في أميركا فنشر عدداً من مؤلفاته الدينية باللغة الإنكليزية. وآخر كتاب كتبه كان سيرة القديس سابا. ويقول أحد الأساتذة في المعهد، الدكتور فيسيلين كسيش إن هذا الكتاب يكشف جانباً من تفكير الأسقف نيقولاى وتأمّله في نهاية حياة القديس سابا: فالقديس سابا انكفاً إلى بيت الصلاة في ستودينكا وصلّى إلى ربّه أن يسمح له أن يرقد في بلدٍ غريب. لماذا طلب هذا من ربّه؟ في ظن نيقولاى هناك عدّة أسباب منها: كان القديس سابا يعترض على الوضع السياسي المتقلقل في بلاده، وأراد أن يسترعي انتباه شعبه إلى ذلك، بالإضافة إلى قناعته أنه يستطيع أن يساعدهم أكثر من خارج البلاد. هذه الأسباب الثلاثة هي التي ربّما دفعت الأسقف لأن يأتي إلى أميركا ويمكث فيها إلى نهاية حياته.

عام 1951، انتقل الأسقف نيقولاى إلى دير القديس تيخون الروسيّ في بنسلفانيا. هناك أمضى آخر خمس سنوات من حياته كمعلّم ثم كعميد وأخيراً كمدير للمعهد. محبته التي لا تعرف حدوداً لشعب الله، دفعته إلى نشر مقالات باللغة الروسية للوافدين إلى الدير. مرونته في استعمال اللغات المختلفة كانت مذهلة للجميع. كان يستطيع القراءة والكتابة والتكلم بسبع لغات مختلفة. في دير القديس تيخون كان مثلاً للتواضع، وصورة للأب المحبّ يصعب نسيانها. للرهبان كان كأحد الشيوخ في الدير، وللمؤمنين كان الأب الكاهن الذي يعكس وجه الله. كان يلتقط أبسط التفاصيل ليحوّلها إلى مفهوم إنجيلي عميق.



كنيسة دير القديس تيخون

إلى جانب نشاطه في الدير كان نيقولا يلقى محاضرات في المعهد اللاهوتي للقديس فلاديمير في نيويورك والمعهد الأرثوذكسي الروسي ودير الثالوث القدوس في جوردانفيل. لكنه لم ينس قطيعه الصربي إذ أصدر عدداً من الكتب باللغة الصربية. آخر كتاب له كان "الحب الأوحد للبشرية" نُشر بعد رقاذه عام 1958.



رقاده ❖

في 18 آذار 1956، رقد الأسقف نيقولا في قلايته الوضيعة في دير القديس تيخون. يروي الأب أفنازي رقاذه كالتالي: قام الأسقف بخدمة القداس الإلهي في يوم السبت الواقع فيه 17 آذار. كل شيء كان غير اعتياديّ وجميل. بعد القداس ذهب إلى غرفة المائدة حيث كان الرهبان جالسين. وبعد حديث قصير، ضرب مطانية صغيرة وتمت ثلاثة مرّات: "اغفروا لي، يا إخوتي"، ثم خرج. هذا كان حدثاً مميّزاً إذ لم يسبق له أن قام بشيء مماثل من قبل. صباح الأحد أتى الأب فاسيلي ليفتقه في قلايته، قرع الباب وإذ لم يحصل على جواب، دخل فوجده راقداً في وضعيّة الصلّاة ساجداً. رقاذه كان بين السابعة والثامنة صباح هذا اليوم. وقد بلغ من العمر 76 سنة. جرى دفنه في دير القديس سابا الصربي في ليبرتيفيل في الجانب الجنوبي لكنيسة الدير. ثم في 27 نيسان 1991، نُقلت رفاتة إلى صربيا إلى دير شيليجي في ضيعته في ليليش قرب مقبرة القديس يوستينوس بوبوفيتش (+ 1979). غرفته في دير القديس تيخون تحولت إلى مزار حيث يأتي الناس للتبرّك والصلّاة.

قال عنه تلميذه القديس يوستينوس بوبوفيتش عام
1961 في الذكرى الخامسة لرقاده في الرب:

شكراً، يا رب، لأنّ عندنا رسولاً جديداً! شكراً، يا
رب، لأنّ عندنا إنجيلياً جديداً! شكراً، يا رب، لأنّ عندنا
معتزفاً جديداً! شكراً، يا رب، لأنّ عندنا شهيداً جديداً! شكراً،
يا رب، لأنّ عندنا قديساً جديداً!

أعلنت قداسته في 19 أيار 2003. تُعيد له الكنيسة
الأرثوذكسية في 18 آذار و 27 نيسان.



إيقونة للقديس نيقولا فيليميروفيتش فيها
جزء من رفاته



المرجعان:

Orthodoxphotos (1993), *Life of St. Nikolai Velimirovich, The New Chrysostom, Bishop of Ochrid and Zhicha.*

http://www.orthodoxphotos.com/Holy_Fathers/St._Nikolai_Velimirovich/

Monasteresaintgeny (2009), *Saint Nicolas Velimorovitch, Évêque de Zicha et d'Ochrid.*

http://www.monasteresaintgeny.fr/Files/saint_nicolas_velimirovitch.pdf